

الانتفاضات العربية تخفق في تحريك الفلسطينيين المنقسمين



حولت الانتفاضات الشعبية الشرق الاوسط وشمال افريقيا في العام الماضي من حال الى حال.. اذ أطاحت بأربعة رؤساء ظلوا يتولون السلطة لعشرات السنين وأخذت بألأب جيل من الشبان. غير أن الاحتجاجات لم تحرك الفلسطينيين الذين يمثلون منذ زمن طويل الصراع السياسي الرئيسي في العالم العربي. وبعد ان أضعفت الانقسامات السياسية المستمرة عزمهم وبددت مقاومة الاحتلال الاسرائيلي التي امتدت عشرات السنين بلا طائل تقريبا طاقاتهم فقدوا رغبتهم فيما يبدو في نقل معركتهم للتغيير الى مستوى أعلى. وقال محمود بشر (20 عاما) وهو طالب من مدينة الخليل بالضفة الغربية "ليس هناك ثورة هنا لان الحكومة أقل قمعا منها في مصر أو سوريا وعلى كل الاحوال فان اسرائيل هي التي تستحق غضبنا" وأضاف "لكننا منقسمون وليس هناك تنسيق. هذا يخدم مصالح الاحتلال" وذلك في اشارة الى الانقسام بين منظمة التحرير الفلسطينية التي تهيمن عليها حركة فتح في الضفة الغربية وحركة المقاومة الاسلامية (حماس) التي تسيطر على قطاع غزة. وتنظم احتجاجات صغيرة اسبوعيا في بعض القرى ضد المستوطنات الاسرائيلية وضد الجدار العازل في الضفة الغربية المحتلة وكانت من بين وسائل محدودة للتنفيس عن الاحباط الشعبي واجتذبت مجموعة ثابتة من المتظاهرين الدؤوبين. وفي قرية النبي صالح عادة ما تشهد أيام الجمعة توجه عشرات من الناشطاء والاطفال لمواقع عسكرية اسرائيلية حاملين اللافتات وهم يلقيون الحجارة وسرعان ما يتفرقون مع الرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع الذي تستخدمه القوات الاسرائيلية التي تتقدم نحوهم. قال فرج تميمي

وهو نشط في القرية "المقاومة هي جزء من استراتيجيتنا منذ أكثر من 40 عاما." تراجع تميمي قليلا للوراء متفاديا عبوة غاز مسيل للدموع سقطت قرب قدمه. ركلها زميل له في اتجاه الاسرائيليين وسط تهليل من أصدقائه. ومضى يقول "لكن بعد هذه الفترة الطويلة من قمع الاسرائيليين مللنا من المواجهة طوال الوقت. الزعماء يمكن أن يدعمونا اكثر ونتمنى أن تصبح الاحتجاجات مثل هذه اوسع نطاقا وأن يكون لدينا تأييد شعبي بدرجة أكبر." لكن ليس هناك مؤشر على حدوث ذلك حتى على الرغم من أن الانتفاضات السابقة ما زالت حاضرة في أذهان الناس. كانت نتيجة الانتفاضة الاولى في الثمانينات اتفاقات أوسلو للوضع المؤقت لكن الكثير من الفلسطينيين اعتبروها صفقة جائرة. أما الانتفاضة الثانية فكانت نتيجتها مقتل مئات الاسرائيليين والاف الفلسطينيين خلال الفترة بين 2000 و2005 ودفعت اسرائيل الى اقامة جدار عازل في الضفة الغربية المحتلة. ولم تسفر دعوة للقيام بانتفاضة مرة أخرى أطلقها الشهر الماضي مروان البرغوثي القيادي في حركة فتح عن تعبئة الكثير من الفلسطينيين مما كان له مغزاه. ويقضي البرغوثي خمس عقوبات بالسجن مدى الحياة في سجن اسرائيلي بسبب ما قتل من اسرائيليين خلال الانتفاضة الماضية. وقال رامي خوري من الجامعة الامريكية في بيروت ان الانتفاضات "لها أثر سياسي محدود ولهذا فان الناس لا يكررونها." وأضاف "القيادة الفلسطينية فاقدة للوجهة ومع استمرار الاحتلال لم يتمكن المجتمع المدني والجماعات المستقلة من تقديم أي قدر يذكر من ارشاد المثقفين للشعب." ولم تجتذب "المسيرة العالمية الى القدس" التي سمحت بها السلطات الشهر الماضي سوى عدد متواضع في الضفة الغربية وبعد ساعات من التراشق بين الفلسطينيين الذين كانوا يلقون الحجارة والقوات الاسرائيلية التي كانت تطلق الرصاص المطاطي سرعان ما عادت الحياة الى طبيعتها. كما تراجعت مظاهرات غير رسمية في ساحات مدينة غزة ورام الله في الايام الاولى للانتفاضات العربية والتي دعت الى المصالحة والوحدة بين حركتي حماس وفتح وكان من أسباب ذلك المراقبة المحكمة من الشرطة وما قامت به من اعتقالات. كذلك فان جهود حل الصراع الاسرائيلي الفلسطيني من خلال التوصل الى اتفاق سلام عبر التفاوض تلفظ أنفاسها الاخيرة. ويرفض الرئيس الفلسطيني محمود عباس استئناف المحادثات المباشرة مع اسرائيل ما لم يكن هناك وقف لكل البناء الاستيطاني في الاراضي المحتلة وهو شرط مسبق ترفضه الحكومة الاسرائيلية اليمينية. وكان الزعماء الفلسطينيون يأملون في أن ينضموا بشكل ما الى ركب انتفاضات الربيع العربي. لكنهم أخفقوا في التغلب على الانقسامات الداخلية أو التوصل الى اعتراف الامم المتحدة بدولتهم بعد تعثر حملة كبيرة في مواجهة المعارضة الامريكية. وبعد أي ربيع يحل الشتاء كما أن مشاهد القتل والدمار في سوريا ربما أثنت الفلسطينيين الذين يرغب بعضهم في مواجهة زعمائهم ويرغب البعض الاخر في مواجهة اسرائيل. وتشعر منظمة التحرير الفلسطينية بالضيق

من الخطاب السياسي الذي يظهر خارج سيطرتها لذلك فقد عملت على احباط الاحتجاجات المستقلة عنها في الضفة في الوقت الذي لجأت فيه الى استخدام خطاب المقاومة لتحوي صورتها المتراجعة. وفي بعين وهي منطقة مشتعلة للاحتجاجات التي يقوم بها الاهالي ضد المستوطنات الاسرائيلية هيمنت حركة فتح على اجتماع عادي للمقاومة الشعبية براياتها وشخصياتها المهمة. وشغل مبعوثون أجانب ونشطاء دوليون متضامنون مع القضية الفلسطينية المقاعد الامامية وأصغوا الى ترجمة للخطابات عبر السماعيات بينما كان شبان فلسطينيون لا يعبأون كثيرا بما يدور من أحاديث يتجاذبون اطراف الحديث فيما بينهم. وقال رئيس الوزراء الفلسطيني سلام فياض لهذا التجمع الصغير ان المقاومة السلمية تسير جنبا الى جنب مع جهود اقامة الدولة. وأضاف أن هذا هو المسار المزدوج للكفاح السياسي الذي تقوم به منظمة التحرير الفلسطينية "الممثل الشرعي الوحيد" للشعب الفلسطيني في كل المناطق والمنتديات. وفياض خبير اقتصاد ويعلم أن أكبر تحد لمساعي حكومته لبناء المؤسسات هو الحد من الاضطرابات داخل القطاع العام في حالة تأثير المساعدات الاجنبية المتراجعة في نهاية الامر على قدرة حكومته على دفع الرواتب. ولم تتمكن السلطة الفلسطينية من دفع رواتب الموظفين الحكوميين بالكامل وفي الوقت المطلوب اكثر من مرة العام الماضي وتواجه بيئة مالية أكثر صعوبة عام 2012 ومن المتوقع أن يتعدى عجز ميزانيتها المليار دولار. وقال ابراهيم الشقاقي وهو محاضر في جامعة القدس ومنظم للحركات الشبابية "طوال 20 عاما بعد اتفاقات السلام انتقلت السلطة الفلسطينية من القلق على الجموع الى القلق على نفسها حتى تظل باقية من خلال جمع الشيكات ودفع الرواتب." وخلال مظاهرة متواضعة يوم الجمعة في بعين سارت أم سمارة في منطقة صحراوية بزيها التقليدي نحو سور مستوطنة مودعين ايليت بينما كان الجنود الاسرائيليون يحرسونه بمدافع تطلق الغاز المسيل للدموع. وعندما سئلت عما اذا كانت تشعر بأن السلطة الفلسطينية تخلت عنها.. هزت كتفيها وقالت "لا نعلم ما اذا كانت السلطة تدعمنا أو لا لكننا ننظم أنفسنا. أنا احتج هنا منذ ست سنوات وأنا قوية شأني شأن أي رجل."